https://doi.org/10.33261/jaaru.2024.31.3.006 *Association of Arab Universities Journal of Engineering Sciences (2024)31(3):44–55*

Association of Arab Universities Journal of Engineering Sciences

مجلة اتحاد الجامعات العربية للدراسات والبحوث الهندسية

كلية الهندسة - جامعة بغداد

جمعية كليات الهندسة اعضاء اتحاد الجامعات العربية

مفهوم الثابت والمتغير في العمارة الإسلامية: تحليل للعناصر المتجددة والجوانب الراسخة في التشكيل المعماري

نقاء نضال خضير[1]، عبد الحسين عبد علي العسكري[2]

[1]قسم هندسة العمارة، كلية الهندسة، جامعة بغداد، n.khadier1304d@coeng.iobaghdad.edu.iq

[2]قسم هندسة العمارة، كلية الهندسة، جامعة بغداد، a.alaskary@coeng.uobaghdad.edu.iq

* الباحث الممثل: نقاء نضال خضير، naqan.alobadi@uokufa.edu.iq

نشر في :30 ايلول 2024

الخلاصة – العمارة الإسلامية تعد واحدة من أعظم التعبيرات الانسانية عن الهوية الثقافية والدينية في العالم، إذ ترتبط العمارة الاسلامية بتاريخ الحضارة الاسلامية وتعكس تطورها وتغيرها عبر الزمن. حيث تجسد معتقدات وقيم المجتمعات الإسلامية عبر العصور. يتميز هذا المجال الفني بالتنوع والتطور، حيث تندمج القيم والتقاليد الثابتة مع التقنيات والتغيرات المعاصرة. يظهر هذا التوازن في الزخارف والأنماط المعمارية التي تميز هذه العمارة وتجسد هويتها الفريدة. يستعرض البحث دور العمارة الاسلامية كمظهر من مظاهر التعبير عن الهوية الثقافية والدينية للمجتمعات الاسلامية، إذ يسلط الضوء على التوازن الفني والهندسي بين الثوابت والمتغيرات في مفاهيم التصميم والتشكيل والبنية المعمارية. يقدم البحث فرضية تشير الى ان تطور التشكيل المعماري يعكس التفاعل الديناميكي بين العوامل الثابت والمتغيرة، حيث تلعب الثوابت – العناصر والقيم الثابتة- دورا في الاستدامة والاستمرارية للتشكيل، بينما تسمح المتغيرات –العوامل الثقافية والتقنية والاجتماعية- بالتجديد والتطوير. ويظهر البحث كيف تمكنت العمارة الاسلامية من الاحتفاظ بالعناصر الثابتة مثل القيم الدينية والاعراف والتقاليد، مع تبني التحديات التكنلوجية. يسلط لبحث الضوء على كيفية تطور العمارة الاسلامية عبر العصور من خلال التأثيرات الاجتماعية والثقافية والتكنلوجية على التشكيل المعماري، مما يمكنها من تجديد هويتها الثقافية. ويوضح البحث أن العمارة الاسلامية تمثل توازنا ديناميكيا بين الثوابت والمتغيرات، مما يسهم في تطويرها عبر العصور

الكلمات الرئيسية – العمارة الإسلامية، الفن الإسلامي، التكنلوجيا، الزخرفة، التقاليد.

1. المقدمة

تعد العمارة من أعظم التعبيرات الإنسانية عن الثقافة والمعتقدات، حيث يمكن للمباني أن تكون مرآة للحضارة والمجتمع الذي تنشأ فيه. ومنذ أقدم العصور، كانت العمارة تتطور وتتغير بمرور الزمن لتعكس القيم والتقاليد والتقنيات المتغيرة [15].

في هذا السياق، يركز هذا البحث على استكشاف عالم العمارة الإسلامية وكيف تتماشى مع تواجد الثوابت والمتغيرات في هذا المجال الفني الرائع. العمارة الإسلامية ليست مجرد هيكل يخدم الاحتياجات البشرية، بل هي عمل فني وثقافي يحمل في طياته تطور الحضارة وتأثير القيم والتقاليد والتكنولوجيا عليها [9].

الإسلام، كدين ومنهج حياة، يعكس أيضًا هذا التوازن بين الثوابت والمتغيرات. وكما هو الحال في الديانة، فإن العمارة الإسلامية تتغير وتتكيف مع متطلبات العصور المختلفة دون أن تفقد هويتها الجوهرية. إن هذا التوازن يظهر بوضوح في الزخارف والأنماط المعمارية والتصاميم التي تعبر عن الهوية الإسلامية المميزة والتجديد في التصميم [6].

بالاعتماد على التفاعل بين الثوابت والمتغيرات في العمارة الإسلامية، سنستكشف في هذا البحث تاريخها العريق وتأثيرها الفريد على المدن والمجتمعات. سنلقي نظرة على تطور الزخارف والأساليب المعمارية وكيف تجسدت هذه التغيرات في المباني الإسلامية عبر العصور. سنبحث أيضًا في كيفية استيعاب العمارة الإسلامية للتكنولوجيا الحديثة دون التنازل عن جوانبها التقليدية [2].

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على الثوابت والمتغيرات في العمارة الإسلامية وكيف يمكن أن تستمر في تجديد ذاتها دون فقدان هويتها الفريدة. سنستكشف الإبداع والتنوع في التصميم العمراني والزخرفة وكيف يمكن للعمارة الإسلامية أن تبقى رائدة في عالم الفن والبناء.

2. منهجية البحث

2.1 *مشكلة البحث*

تتمثل مشكلة البحث في فهم كيفية تأثير مفاهيم الثوابت والمتغيرات على تطوّر التصاميم المعمارية الاسلامية عبر العصور، وكيف يمكن للعوامل الثقافية والتقنية والجغرافية أن تجعل هذا التطوّر ممكناً. وذلك يشمل دراسة كيف يمكن للعوامل الثقافية، والتقنية، والجغرافية، والتغيرات في الفكر والقيم أن تلعب دورًا في التشكيل المعماري الاسلامي وتحديد ما إذا كان هناك ترابط بين التطوّر المعماري والتقدم العلمي والفني والثقافي للمجتمعات عبر الزمان والمكان.

2.2 *هدف البحث*

أ- تحليل وتفسير تطوّر التصاميم المعمارية الإسلامية عبر العصور من خلال دراسة كيف تؤثر مفاهيم الثوابت والمتغيرات على هذا التطوّر.

ب- دراسة تأثير المكان على التشكيل المعماري الإسلامي وتحديد مدى تأثير العوامل الجغرافية.

1726-4081© 2024 The author(s). Published by Association of Arab Universities Journal of Engineering Sciences. This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/).

ت- تحليل مفهوم الثوابت والمتغيرات في العمارة الإسلامية على مر الزمن والحقب ودراسة تأثير التغيرات في الفكر والقيم على هذا المفهوم.
ث- تحليل العوامل المؤثرة في التشكيل المعماري الإسلامي بما في ذلك العوامل الثقافية والتقنية والاجتماعية.
ج- دراسة العلاقة بين تطور التصاميم المعمارية الإسلامية والتقدم العلمي والفني والثقافي للمجتمعات عبر الزمن والمكان بمراعاة مفاهيم الثوابت والمتغيرات.

2.3 *فرضية البحث*

يفترض البحث ان أن تطور التشكيل المعماري الاسلامي عبر العصور يعكس التفاعل بين الثوابت والمتغيرات في مفاهيم التصميم والبنية المعمارية، حيث تُمكن الثوابت من الاستدامة والاستمرارية في التصميم والمتغيرات من تجديد وتطوير العمارة على مر الزمان والمكان.

3. الادبيات السابقة

3.1 *بحث لـ عصام احمد البشير "مفهوم الثابت والمتغير في المجتمعات الانسانية المعاصرة"، 2012.*

يتناول الباحث مفهوم الثبات والتغير في المجتمع الإنساني. بعد نزول آدم إلى الأرض، قام هو وذريته بتحمل مسؤولية الوصاية على الأرض كمجتمع إنساني. مع مرور الزمن، ومع توالي الأنبياء، كانت هناك توجيهات وقوانين توجّه المجتمع. ولكن بعد انقطاع الأنبياء، وجد الإنسان مجموعة من الثوابت الثابتة في أفق تفكيره وضميره وأعماق روحه. هذه الثوابت توجّه حياته في ظل التغيرات من حوله.

في العصر الحالي للعولمة، حيث تنهار الحدود المكانية والزمانية، حدثت تغييرات سريعة وهائلة أدت إلى زيادة التفاعل الإنساني والانفتاح الثقافي والتنازع الحضاري. ظهرت تحديات في مجموعة متنوعة من المجالات: السياسة والاقتصاد والدين والمجتمع. في مواجهة هذه التغييرات، شهد المجتمع الإنساني سلسلة من التحولات.

البحث يهدف إلى فهم الثوابت والمتغيرات في المجتمع الإنساني ويؤكد على أهمية الالتزام بالثوابت مع تعزيز التميز والإبداع داخل المتغيرات.

3.2 *بحث لـ كريم منعم عبد الحسين العبدلي "الثابت والمتغير في بنية الصورة للعمارة الاسلامية/ عبر مفردات الفكر الاسلامي"، 2000.*

الباحث يبحث في تفاعل بين الثوابت والمتغيرات في بنية الصورة المعمارية، ويشير إلى وجود عاملين أساسيين في هذا السياق: العامل المادي الذي يمكن ادراكه بوساطة الحواس والعامل الروحي الذي يمكن ادراكه بوساطة العقل والحواس غير الظاهرة. العامل الروحي يعتبر أساسيا وثابتا ويسبق العامل المادي الذي يعتبر متغيرا ومتأثرا بالزمان والمكان.

يتواجد الروح في عقل الإنسان، وهو الذي يعكس الأبعاد غير المادية للصورة المعمارية. الشكل المعماري هو العبارة البصرية لتعبير الكيان المعنوي والتجريدي. هذا الشكل المعماري يتغير مع التغيرات الزمانية والمكانية. أما الثوابت في الصورة المعمارية، فهي المضمون والمعنى الذي يمكن أن يستمد من الشريعة الإسلامية. هذه الثوابت تحدد الأشكال الفضائية والحجمية والعلاقات الفضائية والمكانية في العمارة.

ويستنتج البحث أن الروح أو المضمون هو الثابت في بنية الصورة المعمارية وهو مشتق من العقيدة الإسلامية. هذا الثبات يأتي من ثبات وصلابة العقيدة الإسلامية التي تظل ثابتة عبر الزمان والمكان. بينما الشكل هو المتغير الذي يتأثر بالظروف الطبيعية والبيئية وتكنولوجيا العصر والتراث الثقافي لكل منطقة أو بلد.

3.3 *بحث لـ عبد الحسين عبد علي العسكري، "تشكيل المفهوم المعماري في الخطاب الحضاري وفق نظرية القيمة"، 2002.*

البحث يستعرض الحوار المعماري والفلسفي بين الخطاب الغربي والخطاب العربي الإسلامي ويسلط الضوء على تأثير القيمة والواقع في تكوين المفهوم والشكل في مجال التشكيل المعماري. يركز البحث على أهمية المفاهيم في هذا السياق ويشدد على أن القوة التي يتمتع بها الخطاب في توجيه هذه المفاهيم تسهم في تعزيز الفهم والتأثير الإصلاحي في السياق الثقافي والاجتماعي.

تُظهر العلاقة بين القيمة والواقع نفسها في عملية قراءة الخطاب للواقع، ويتعين على الأفراد تحليل الأحداث واستيعاب المعاني باستخدام هذه القيمة. يُفسر هذا بمفهوم الصيرورة وكيف يتعامل الفرد مع القيمة والواقع لتشكيل المفهوم والشكل. البحث يشير أيضًا إلى أن مفاهيم الخطاب الإسلامي تبقى حية ومعنوية ومشحونة بالقيم التي انتقلت من الله، وتحمل أهمية في السياق الحالي، ولكن يجب أن يتم التفاعل معها بطرق تناسب الوقت الحاضر بدلاً من نقلها دون تكيف.

إجمالًا، يمثل هذا الحوار منصة لاستكشاف العلاقة بين القيمة والواقع في مجال التشكيل المعماري، وهو يسهم في توجيه العمليات التي تكون المفهوم والشكل وتعزز قوة الفهم والتأثير في السياق الثقافي والاجتماعي.

إن الدراسات المذكورة تسلط الضوء على أهمية فهم التوازن بين الثوابت والمتغيرات في المجتمع الإنساني. تظهر هذه الدراسات أن الثوابت تلعب دورًا حاسمًا في توجيه حياة الإنسان والمجتمع وتشكيل المفاهيم والأشكال في مختلف المجالات. إلى جانب ذلك، تشير الدراسات إلى أن التفاعل مع الثوابت يتطلب التكيف مع السياق الحالي للمحافظة على أهميتها وتطبيقها بشكل فعّال. إن فهم هذا التوازن بين الثوابت والمتغيرات يلعب دورًا حيويًا في توجيه العمليات التي تكون المفهوم والشكل وتعزز فهمنا وتأثيرنا في السياق الثقافي والاجتماعي.

4. معنى الثابت والمتغير

المصطلحين "الثابت" و"المتغير" هما مصطلحات يُستخدمان في مجموعة متنوعة من المجالات، بما في ذلك الرياضيات والعلوم والهندسة والفلسفة. في هذه الدراسة سنتطرق الى المفهوم اللغوي لهما ثم نعرج على مفهومهما في العمارة:

4.1 *الثابت*

الثابت: وهو مفرد لثوابت يأتي من الفعل الثلاثي ثَبتَ، وثبت الشيء يثبته ثباتا وثبوتا فهو ثابت وثبت وثبيت، وشيء ثَبْت بمعنى ثابت [31]. ثبت الشخص اي بمعنى استقر ولم يتزعزع، تصبر وتجلد، تماسك. والثابت هو ما يرسخ ويدوم ويثبت غير قابل للتغير او التحول [20]. وهو مستقر ومقيم على امر لا يتغير [26].

ويعرف الثابت فلسفيا بانه ضد المتغير فان كل شيء لا تتغير حقيقته بتغير الازمنة فهو شيء ثابت، فيقال الحقائق ثابتة بمعنى الحقائق الابدية التي لا تتغير [31]. ويطلق الثابت على الامر الذي لا يزول بتشكيل المشكك، ويطلق على الموجود، والقول الصحيح هو القول الثابت [29].

ومن صفات القيم الثابتة حسب البشير انها: [3]

أ- لا تتأثر بمكان او زمان، تأثرا يغير من وظائفها او سماتها او خصائصها، فهي دائمة.
ب- تعم الجميع باختلاف افكارهم وطبائعهم، فهي شاملة.

ت- لها القدرة على التكيف مع فرائض المكان ودواعي الزمان، فهي مرنة.
ث- لا يطرأ عليها تغير او تحول، فهي مستقرة.
ج- لو كانت قابلة للبطلان والفساد لرفضت وفقدت سمة الدوام والاستقرار، فهي صالحة.
ح- لا يضرها تباين المستوى الحضاري او اختلاف الدين، فهي ذات مشترك انساني حضاري.

4.2 المتغير

المتغير، يأتي من الفعل الثلاثي غيرّ، فالغير الاسم من قولك غيرت الشيء فتغير [31]. والمتغير هو الذي يميل الى الاختلاف والتنوع، والمتغيرات هي الظواهر التي بالإمكان ان تتغير او تتحمل معاني وقيما مختلفا [20]، اما التغير الشكلي فهو تغير صورة الكلمة اما بالإضافة او الحذف او القلب او الابدال او الاعلال [29].

التغير فلسفيا هو كون الشيء بحالة لم يكن عليها قبل ذلك، او بمعنى انتقال الشيء من حالة الى اخرى [31]، فقد يكون التغير في الكيف فيسمى بالاستحالة، او قد يكون التغير في الجوهر ويسمى الكون المطلق، او قد يكون التغير في المكان ويسمى انتقالا، وقد يكون في الكم ويسمى نموا ونقصا، او قد يكون التغير في الزمن فيسمى تتابعا [29].

مصطلح المتغير في العمارة الإسلامية يشير إلى الجوانب التي يمكن تخصيصها وتعديلها وتغييرها حسب الحاجة والزمان. على سبيل المثال، الزخارف والنقوش التي تزين الجدران والسقوف، والأعمال الفنية المختلفة مثل الزجاج الملون والخزف، يمكن أن تعدل وتتغير لتعكس التطورات الثقافية والفنية والتجديدات المعاصرة دون المساس بالعناصر الثابتة الأساسية.

5. العوامل الثابتة والمتغيرة التي تؤثر في التشكيل المعماري

يقول السلطاني ان هنالك مجموعتين من العوامل التي تؤثر على التشكيل المعماري وهي كالتالي:

اولا: العوامل التي لها تأثير طويل الامد ودائم، وهنا نرى الظروف الطبيعية –الجغرافية، والمناخ، والمواد الانشائية المحلية-

ثانيا: العوامل التي لها الدور البارز في نمو وتطور تلك الامة او الشعب المعني وهي – البيئة التاريخية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتراث الفني، والتطور التقني والانشائي-. وتدخل الاذواق او التصورات والمقاييس الخاصة في نوعية التشكيل الناتج [12].

اما يحيى الزعبي فيصنفها الى أربع مجاميع كالتالي:

اولا: العوامل الطبيعية: وتشمل البيئة الحضرية والبيئة الطبيعية والعوامل المناخية.

ثانيا: العوامل التكنلوجيا: وتشمل التكنلوجيا المتاحة والنظريات الانشائية، ومواد البناء.

ثالثا: العوامل الانسانية: وتشمل المجتمع والدين والسياسة.

رابعا: عوامل طابع العصر: وتشمل القيم والاتجاهات المعمارية والاقتصاد.

ويذكر الزعبي ان المجموعتين الاولى والثانية هي العوامل المادية المتغيرة عبر الزمان والمكان. والمجموعتين الثالثة والرابعة تمثلان الجانب الروحي والفكري في التشكيل والتي تتفاعل من بقية المجاميع لتكوين التشكيل الناتج. اما المجموعة الانسانية التي تشمل الدين والسياسة والمجتمع والفكر فقد اعتبرها من العوامل الثابتة [17].

متغيرات زمانية: تأثيرها قصير الامد كاسلوب وتقنيات البناء المواد البنائية المستخدمة التي تتطور بمرور الزمن النظريات المعمارية. التكنلوجيا والاكتشافات العلمية التغيرات الاقتصادية والسياسية.

الثوابت المكانية: العوامل الجغرافية والمناخية والبيئية.

الثوابت الفكرية والعقائدية: العقيدة الدينية للمجتمع.

أن التشكيل المعماري يعكس مزيجًا من العوامل الثابتة والمتغيرة، وهو نتاج لتفاعل البيئة الطبيعية والثقافية والتكنولوجيا والعوامل البشرية. تحقيق التوازن بين هذه العوامل يمثل تحديًا هامًا في تصميم المباني والأماكن العامة لضمان استدامة وجاذبية التشكيل المعماري في المجتمعات المعاصرة.

5.1 العوامل المتغيرة في العمارة الاسلامية

أ- التكنولوجيا كعنصر متغير في العمارة الإسلامية

قال الفيلسوف روبرت كيديس: "التكنولوجيا هي الفكر الأساسي والقوة المحركة في المجتمع" [5].

التكنولوجيا تمثل عنصرًا حيويًا في تطور وتطوير العمارة الإسلامية. فهي تستمر باستمرار في تقديم مواد جديدة وتقنيات متطورة تتحدى تصورات العمارة وتوسع قدراتها. ونتيجة لذلك، يتعين على المصممين تكييف الأساليب التصميمية لمواجهة هذا التحدي المستمر وتحقيق الابتكار في العمارة.

إن استمرار التكنولوجيا في التطور يعني أن وسائل التعبير المعماري يمكن أن تتغير باستمرار، مما يجعل التصميم المعماري متنوعًا ومتجددًا. ومع ذلك، يجب على المصممين الالتزام بالقواعد الأساسية للعمارة واحترام الوحدة الكبرى للمجموعة، حتى وإن اختلفت التفاصيل من مشروع إلى آخر [5].

من مهام المعماري الأساسية هو تبني وتطبيق التكنولوجيا الجديدة بحساسية والعمل على تطوير أساليب وأشكال معمارية جديدة تتلاءم مع المواد الجديدة والتقنيات الحديثة.

لضمان استمرارية التجديد والتحسين في العمارة الإسلامية، يجب أيضًا تحديث ظروف العمل ومدونات البناء والتقاليد والعادات بما يتناسب مع التكنولوجيا الحديثة واحتياجات المجتمع المتغيرة. [5].

ب- مواد البناء في العمارة الإسلامية

في العمارة الإسلامية، يُعتمد بشكل رئيسي على المواد البنائية التي تتاح في البيئة المحلية، والتي تشمل الطين ومشتقاته. هذه المواد تُعتبر متكاملة ومُلائمة للمتطلبات الإنشائية بشكل جيد، وتُلبي احتياجات التصميم الفني والهندسي بمرونة. استخدام هذه المواد البنائية المحلية أسهم في تطوير أشكال فنية فريدة تنبع من طبيعة هذه المواد واستخداماتها، مما ساهم في تشكيل سمات وخصائص موحدة للعمارة الإسلامية [12].

في البداية، استُخدمت هذه المواد بناءً على مزاياها العملية. بمرور الوقت، تطورت الأشكال الناتجة عن هذه المعالجات البنائية لتصبح أشكالًا تقليدية ومألوفة. تمثَّلت هذه الأشكال التقليدية في الوعي العام كأشكال وأساليب وطنية تميز العمارة الإسلامية وتختلف عن العمارة في الثقافات الأخرى، حتى وإن كان الاختلاف طفيفًا [12].

في الشريعة الإسلامية، هناك ضوابط لاستخدام المواد في البناء. يجب أن تكون هذه المواد متاحة من البيئة المحلية وأن يسمح بها الجيران. يمكن أن تكون هذه المواد البنائية البسيطة مثل القصب والخوص أو الطين واللبن والطابوق والجص والحجر والحديد والخشب. يجب أن تكون هذه المواد مباحة شرعًا وطاهرة [11].

فالطين هو مثال على مادة بنائية استخدمها المسلمون بشكل واسع في بناء مدنهم الأولى مثل البصرة والكوفة. بالإضافة إلى ذلك، استُخدم الطابوق والجص في فترات مختلفة حسب توفر المواد البنائية الأولية وطبيعة المنطقة. تميزت المباني المشيدة بالطابوق بأنها قليلة المقاومة وقصيرة العمر مقارنةً بالمباني المشيدة بالحجر [13].

اما الآجر هو أيضا أحد أهم المواد البنائية المستخدمة في العمارة الإسلامية ولا تزال تستخدم في معظم البلدان الإسلامية. يمكن أن تكون المباني المشيدة بالآجر قليلة المقاومة وقصيرة العمر مقارنةً بالمباني المشيدة بالحجر. تم استخدام الآجر بشكل مبتكر للزخرفة عبر توزيع وتصميم وحداته بشكل بارز وغائر، وكذلك للكتابة على الجدران [21].

بشكل عام، تمثل مواد البناء في العمارة الإسلامية مثالًا رائعًا لتوازن مثالي بين الوظيفة الهيكلية والزخرفة الجمالية، وتعكس مهارة الفنانين والمعماريين في التصميم الإسلامي.

ت- تأثير الثقافة في العمارة الإسلامية

الثقافة هي تجمع القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية. تُعبر عن الهويّة الثقافية للشعوب، وتتضمن المعرفة المكتسبة مع مرور الزمن. تتجلّى في الفن والعمارة والتكنولوجيا. تنقسم إلى جوانب مادية وغير مادية تشمل التنظيم الاجتماعي والديني والسياسي والاقتصادي والأدب والفلسفة والأساطير. الثقافة تعبّر بصدق عن الهوية الثقافية للمجموعات البشرية، وهي تتطور بناءً على الديناميكيات الداخلية والتواصل الاجتماعي [22].

تعكس العمارة تراث الثقافة غير المادية للمجتمع، فهي تجسّد القيم والمعتقدات والتصورات المشتركة. تعد العمارة وسيلة اتصال تعبّر عن ثقافة المجتمع وتشكّل واجهة صادقة لهذه الثقافة. الثقافة تؤثر على سلوك الناس وقراراتهم وتحكم اختياراتهم المعمارية. فالعمارة لا تقتصر على الجوانب المادية، بل تؤثر بشكل غير مباشر في بناء الإنسان وتشكيل حياته. فهي تعكس الأخلاق والقيم للعصر وتحدد أنماط الحياة [23].

وتلعب العمارة دورًا حيويًا في تعزيز الثقافة، لإنها تشكّل عنصرًا مهمًا لتعبير عن الثقافة وتجسيدها. تختزن العمارة القيم والتصورات الثقافية، وتحمل بين جدرانها تطور المجتمع ومعتقداته. العمارة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمجتمع، حيث تعكس طابع الحضارة والأخلاق والمعتقدات. إنها تعكس جوهر الثقافة من خلال تصميمها وشكلها [33].

الثقافة تمثّل عاملًا حاسمًا في توجيه وتشكيل العمارة الإسلامية. وتؤثر في الاختيارات التصميمية وترسخ الهوية والقيم الثقافية. العمارة تكون وسيلة للتواصل مع الماضي وتجسيد للتطور والتغيير في المجتمع.

ث- العلاقة بين الطبيعة والعمارة الإسلامية:

كانت العلاقة بين الطبيعة والعمارة الإسلامية تتسم بأنها علاقة ملهمة ومتجاورة. فمنذ نشأة العمارة الإسلامية ومع توسعها وازدهارها، لم تكن هناك تناقضات أو تحديات بينهما، بل كانت تلك العلاقة متوازنة. على مدى العصور، رصدنا كيف تأخذ العمارة الإسلامية في اعتبارها ظهور الشمس وحرارتها وضوئها، وحضور الرياح بتقلباتها وجفافها ورطوبتها، وحتى تفاعلها مع الصحراء مع سرابها وتمددها. تعبّر العمارة أيضًا عن العلاقة بين الأشجار والمياه والطيور، وتأخذ في الاعتبار اتجاهات شروق وغروب الشمس، وكذلك اتجاه القبلة والشمال.

كان لدى المعماريين الإسلاميين اهتمامًا مميزًا بتحقيق التوازن بين عناصر العمارة وعناصر الطبيعة. كانت التحديات تكمن في كيفية تواجد المركز في العمارة بالنسبة للأطراف، وكيفية تواصل المحيط مع نقطة الوسط. كان لديهم اهتمام بأن تدور جميع العناصر حول نقطة واحدة، وأن يظهر الوحدانية في تصميمهم. العمارة الإسلامية تجسّدت كمظهر لهذا التفاعل المتوازن بين البيئة والتصميم المعماري [14].

إن العمارة الإسلامية تمثل تجسيدًا للعلاقة الجميلة والمتناغمة بين الإنسان والطبيعة. تعكس هذه العمارة استدامة الارتباط بين الظروف المحيطة والتصميم المعماري الذي يعبّر عن الهوية الثقافية والروحانية للمجتمع الإسلامي. تُظهر هذه العلاقة الفريدة تفاعلًا روحيًا يتجلى في تصميماتهم، حيث يُعبّر المعماريون عن توازن الكون وجمالياته من خلال عناصر التصميم وتفاعلها مع البيئة المحيطة.

ج- المجتمع كعنصر متغير في العمارة الإسلامية

قال الدن دو: "العمارة هي أفضل مترجم للمجتمع"، وهذا يعكس أهمية العلاقة بين العمارة والمجتمع [5]. يعد المجتمع عنصرا جوهريًا في تحديد مسار العمارة الإسلامية، حيث تعبّر العمارة عن هويات وقيم المجتمعات عبر العصور. تُعَدُّ البيئة العمرانية مرآة فيزيائية تعكس مظاهر معقدة من الحياة الاجتماعية والثقافية [37].

المجتمع يشكل طبيعة العمارة، حيث تستند تصاميم المباني والمنشآت إلى احتياجاته وتطلعاته. تنعكس مفاهيم المجتمع في تنظيم الفضاء وتصميم المباني والشوارع، وتتأثر العمارة بالتركيبة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع.

تتأثر العمارة بالعوامل الاجتماعية والدينية، حيث تعكس القيم الدينية والتقاليد والمعتقدات في التصاميم المعمارية. المجتمعات الإسلامية تسعى للتوازن بين التطلعات الحديثة والقيم التقليدية، مما يؤثر في تطور العمارة [28].

تأثرت البيئة العمرانية في المدينة الإسلامية بشكل كبير بالتركيب الاجتماعي والمعتقدات الدينية. فالمجتمع الإسلامي مجتمع يتميز بنظامه الخاص وقوانينه الدينية النابعه من القرآن، وعقيدته المشتركة، واتجاهه الموحد نحو القبلة. يشتمل هذا المجتمع على أفراد من خلفيات متعددة، ولكن لديهم خصائص مشتركة وعادات موحدة.

يعتمد الترتيب الاجتماعي في هذا المجتمع على مفهوم التقاليد، وهذه التقاليد أثرت على تنظيم المدينة، وتقسيم الأحياء، والبنية المعمارية والعلاقات الاجتماعية. يتصل الأمر بالأعراف والتقاليد بالشريعة الإسلامية، والتغير فيها يؤثر على التشكيلات المعمارية مع الالتزام بالقيم الإسلامية.

فالمجتمع الإسلامي يحمل قيمًا وثوابتًا تمثل جوهره ولا يمكن التنازل عنها، مما يميزه عن الحضارة الغربية التي تختلف في أفكارها ومفاهيمها الاجتماعية.

بالتالي، المجتمع يمثل لبنة أساسية في تشكيل العمارة الإسلامية، حيث تتجلى قيمه وتطلعاته من خلال البيئة العمرانية. العمارة تحمل القصص والتاريخ والثقافة للمجتمع، مما يجعلها ترجمة حقيقية لتلك العوامل في العالم الملموس والواقعي.

5.2 العوامل العقائدية الثابتة في العمارة الإسلامية

في التصور الإسلامي للثبات والتغيير، يُظهر الإسلام نظرة شاملة تتعامل مع الزمان والمكان بدون حدود، وتتجاوز تأثيرات الشهوات والانفعالات. يُعنى بهذا التصور أن الدين الإسلامي يوفر أسسًا دائمة وثابتة للبشرية، تتطور داخل هذه الأسس وتتقدم دون أن تفقد هويتها وثباتها.

يعد هذا التصور الإسلامي مرجعًا أساسيًا في جميع جوانب الحياة. فالإنسان يلتزم بهذه المفاهيم والقيم الثابتة في جميع الأوقات والأماكن، بما في ذلك مناهجه وأنظمته، وتصوراته وقيمه، وأخلاقه وأعماله، وأحواله وأوضاعه. بالتالي، يستند الإنسان المسلم دائمًا إلى هذه المفاهيم والقيم الثابتة كمعيار له في حياته.

واحدة من الخصائص البارزة لهذا التصور هي "الحركة داخل إطار ثابت حول محور ثابت". الثبات هنا يشير إلى القيم والمبادئ الأساسية في الفهم الإسلامي، التي لا تتغير أو تتطور عندما تتغير ظروف الحياة والواقع. التغيير يتم داخل هذا الإطار الثابت وحول هذا المحور.

الثبات في هذا التصور يمكّن الحياة من الحركة بحرية ومرونة، ويسمح لها بالاستجابة للتطورات الطبيعية دون فقدان الهوية أو الثبات. هذه الخاصية تجعل المجتمع الإسلامي يحتفظ بتماسكه وقوته عبر الزمن، حتى في وجه التحديات والهجمات الخارجية.

لذا، يعد التصور الإسلامي للثبات والتغيير أساسيًا في فهم العالم الإسلامي وتحقيق تنمية مستدامة ومتوازنة في هذا السياق.

أ- الوحدانية –مركزية مفهوم الله الخالق

في الفهم الإسلامي، يتجمع المسلمون من مختلف القوميات والمذاهب حول فكرة التوحيد المطلق لله الخالق. يُعترفون بالله وحده كرب، مما يعكس وحدة الإيمان الإسلامي واعتقاده في توحيد الله.

تمتاز مركزية مفهوم الله في التصور الإسلامي بقوتها وأهميتها. إنها تفسر الجوانب الفكرية والروحية والمادية في الحضارة الإسلامية. العلاقة بين الله والكون مباشرة وبسيطة، حيث يتم التأكيد على عبادة الله فقط [25].

فكرة المركزية أيضًا تظهر في العالم الإسلامي الملموس، حيث يمكن رؤيتها في مركزية الكعبة المشرفة على الأرض والمسجد في المدينة والمحراب وتوسطه لجدار القبلة. تنظم حياة المسلمين بشكل دائري يمثل المراحل المتصاعدة في حركتهم نحو الله.

توحيد الله في الفن الإسلامي يشكل نظامًا فلسفيًا يتجاوز اللون والمساحة والخط. يُفسر هذا النظام كل شيء، بدءًا من العلاقة بين الله والإنسان وحتى العلاقات الإنسانية والمادية. تمثل هذه الفلسفة الفنية النظام الكوني الذي توفره الإسلام. إن علاقة الفن بالدين تمثل علاقة فلسفية تجمع بين العقلانية والإيمان.

التشابه والتقارب في الفن الإسلامي يعكسان التوحيد الذي يعده مبدأً جوهريًا. التغييرات والإضافات في الفن تكون غالبًا في التفاصيل الصغيرة دون التأثير على الفلسفة والمنطق الأساسي للفن. لذا، تظل توجهات الفن ثابتة عبر العصور. يُمكن تتبع هذه الثوابت إلى فهم الإنسان للإنسان والعالم من منظور شامل يأتي من دين شامل [14].

تمثل مركزية مفهوم التوحيد والإيمان بالله في التصور الإسلامي أحد العناصر الرئيسية للفكر والثقافة الإسلامية، وتتجلى هذه المركزية في الحياة الدينية والثقافية للمسلمين. فالفهم الإسلامي لعلاقة الإنسان بالله يشكل جوهر التصور الإسلامي ويتجسد أيضًا في الفن الإسلامي من خلال التصميم العمراني والزخارف المعمارية التي تعكس هذا المفهوم وتجسده في نماذج العمارة والزخرفة الإسلامية. إن مركزية هذا المفهوم تنعكس أيضًا في التوحد والتشابه في الفن الإسلامي عبر العصور والمجتمعات المختلفة، مما يمنحها تميزًا فريدًا ويعكس الإيمان بوحدة الله والتوجه نحوه كمركز أساسي للإيمان والثقافة الإسلامية.

ب- النظام

الدين الإسلامي يعد نظامًا شاملًا يغطي جميع جوانب الحياة ويتسم بالمرونة والواقعية والمثالية. يتناسب هذا النظام مع الفطرة البشرية وينتشر في جميع الزمان والأماكن.

الدين الإسلامي يقوم بتنظيم العلاقات، بدءًا من العلاقة بين الإنسان والله وصولًا إلى العلاقات الاجتماعية. يتضمن هذا النظام نظامًا للعقيدة ونظامًا للأخلاق، ويتوفر على مجموعة من الحقوق الأساسية التي تخدم مصلحة الفرد والمجتمع.

الأنظمة في الدين الإسلامي تتكامل وتكمل بعضها البعض، وذلك بفضل أساسها المشترك والمشرع الواحد. يتجلى هذا التواصل بين الأنظمة من خلال التطبيقات اليومية، حيث يعد نظام العبادات ضروريًا لتطبيق نظام الأخلاق ونظام الاقتصاد ونظام الاجتماع [28].

المرونة تكمن في قدرة هذه الأنظمة على التطور والتكيف مع المصالح الجديدة والتغيرات المستمرة بحيث يمكن تحقيق مصالح المجتمع في كل زمان ومكان.

النظام الخفي يعبر عن نظام غير مرئي ومعقد، حيث يمكن تطبيقه على مختلف المجالات والأجزاء. إنه نظام هندسي رياضي يمثل جوهر الهندسة والرياضيات ويعبر عن ترجمة للنظام الكوني الذي يسيطر على وجود كل شيء في الكون [14].

6. العمارة الإسلامية

مفهوم العمارة الإسلامية هو مفهوم معقد يجمع بين العمارة كمظهر للتطور الحضاري، والإسلام كدين. يتضمن هذا المفهوم ترابطًا بين الهوية الثقافية والجمالية للمجتمعات البشرية والدين. توحي العمارة الإسلامية بارتباطها بالإسلام وبوجود عمارة خاصة به، ولم يُبحث بشكل كافي عن علاقة هذا المفهوم بمختلف حقب الدولة الإسلامية. يؤكد علي ثويني أهمية فكرة وحدة العمارة المستمدة من الإسلام بغض النظر عن الزمان والمكان، مع التركيز على وحدة الدين وصلاحيته المستمرة. هذا يعزز أهمية العمارة على مستوى الإسلام ويفتح الباب أمام تأثيرات معمارية عالمية [4].

يعود بداية العمارة الإسلامية إلى بناء المساجد والأربطة، ثم امتدت إلى المدارس والمصليات والتكايا وغيرها. تعد المساجد حجر الزاوية في تطور العمارة الإسلامية، حيث يعد تصميم المساجد تحفة معمارية تجمع بين الجمال والتناسق، وتبرز الزخارف والأشكال المعمارية والتصاميم المتجانسة على واجهاتها. تتسم المساجد بالبساطة والنظافة والزخارف الإسلامية المميزة، وتشمل الكتابة بالخط العربي والزخارف النباتية والحيوانية والمنابر والأقواس والقباب والمآذن بأشكالها [8].

تؤكد العمارة الإسلامية أهميتها كمكون رئيسي للحضارة الإسلامية، حيث لا تزال لها تأثيرات عالمية حتى اليوم. تُميز بتنوعها وتعدد خصائصها عبر الأقاليم والعصور، مع وحدة أساسية تجمع بين التنوع والتجانس. تتميز بالترابط بين مكوناتها وانسجام عناصرها، وتشكل هذه العناصر كتلة متناغمة تعبر عن إيقاعية متوازنة. تتضمن بنياتها ارتفاعًا يظهر ثباته في الغالب، ما عدا المساجد التي تبرز فيها المآذن والقباب وتشكل نقاط تميز بصري ووظيفي.

6.1 الأعراف والتقاليد

يشير بونتا إلى أن مفهوم العمارة والفن يتألف من وحدات حضارية ثقافية، ويجب تفسيرهما ضمن السياق الثقافي المعين، مع التركيز على النواحي الجماعية بدلاً من التفسيرات الفردية. يجب تفهم المعنى بما يعنيه للمجتمع ككل وكيف ينعكس ذلك على السلوك الجماعي.

الأعراف تشمل ثلاث معانٍ: أولًا، استنباط الأحكام فيما يتعلق بالمسائل التي ليس لها نص شرعي، مثل عادات أهل المنطقة. ثانيًا، تحديد الحقوق والممتلكات بين الجيران والأفراد بناءً على اتفاق مشترك. ثالثًا، الأنماط البنائية التي تؤثر بشكل كبير على البيئة العمرانية.

تطورت الأعراف والأنظمة التي تحكم اتخاذ القرارات العمرانية وأصبحت تتأثر بمذاهب المجتمعات الفكرية وحقوق وواجبات الأفراد. الأعراف تتطور نتيجة الحاجة، والابتكار، والمثال المقنع، والثقة بالحلول البيئية التي تلائم احتياجات الأفراد وتتناسب مع قيمهم [3].

الحاجة، الابتكار، والمثال المقنع تعد من أهم العوامل التي ساهمت في تطور الأعراف البنائية. حاجة الناس لتحقيق متطلباتهم ورغباتهم تدفعهم للقيام بالإضافات والتعديلات على منازلهم. الابتكار ينشأ من حاجة الأفراد وتوجيههم للبحث عن حلول لمشكلاتهم. وأخيرًا، المثال المقنع يشجع الأفراد على اتخاذ القرارات المناسبة عندما يرون الحلول الملائمة والفعّالة ويثقون بها. تلك العوامل معًا تسهم في تشكيل الأعراف البنائية والتطور في المجتمعات، مما يعكس العلاقة بين الثقافة والعمارة وكيف يمكن للعادات والاعراف أن تؤثر على البيئة العمرانية.

6.2 الفن الإسلامي

المفكر الإنجليزي جون راسكن أشار إلى أن الأمم العظيمة تُخَطِّط لتاريخها في ثلاثة كتب: كتاب لمآثرها، وآخر لأقوالها، وكتاب ثالث لأعمالها الفنية. تتجلى أعمالها من خلال الحظ والثروة، وقد تأتي أقوالها المؤثرة من قلة مختارة، لكن فنونها تولد من مواهب وهبات مشتركة بين أفرادها. الفنون ليست مجرد مواد، بل هي تجسيد لإبداع الإنسان المحمل بتراث حضاري خاص بالمجتمع. الفن يتأثر بالقيود الدينية والاجتماعية والتاريخية، وربما بالعوامل الجغرافية أيضًا. تلك التأثيرات تشكل التقاليد الفنية المميزة لكل حضارة، وهذا ما ينطبق على الفن الإسلامي [38].

الأحاديث النبوية لعبت دورًا رئيسيًا في تطور التصوُّر الإسلامي. تم استنباط أساليب فنية وقواعد تقنية منها ملائمة للفنان المسلم، بهدف التعبير عن حسن نواياه وابتعاده عن تصوير الواقع بشكل مباشر. يستخدم فن التصوير الإسلامي أسس الحياة الدينية لتعزيز رسالته [14].

الفن الإسلامي ليس مجرد تعبير آلي عن التعاليم الدينية، إنما هو نتاج نضوج في المواضيع التشكيلية للعمارة الإسلامية، مُحقِّقًا نموًا معقدًا وبطيئًا. هذا التطور يعكس تقبلًا ورفضًا وحلولًا وسطية، نتيجة للعوامل المختلفة والجدليات بين المطالب الروحية والظروف المناخية والجغرافية. يتجلى الفن الإسلامي كوحدة جمالية، حيث يعبّر عن تناقضات أساسية تُجعله أكثر الفنون تنوع في الأساليب والخامات. تمثِّل وحدته تفسيرًا للجمالية الإسلامية المسيطرة على مجمل الإنجازات الإسلامية، حيث تأتي هذه الوحدة في مقابل تباين الانجازات الخارجية والبنية الأساسية بفضل الرؤية الثابتة للإسلام التي تستند إلى وجودها على الرغم من التباينات المذهبية والسياسية [25].

الفن الإسلامي يستمد من فلسفة جمالية تجمع بين الإنسان والكون، وتتجلى هذه الفلسفة من خلال ترجمة الرؤية الدينية الإسلامية إلى لغة فنية فريدة. يغزو هذا الفن في ذات الوقت العميق من الدين والحياة اليومية بتفاصيلها، مما يؤهله لربط السماء بالأرض، والغيب بالوجود، والروح بالجسد، والرب بالعبد، والتجريد بالحس.

على الرغم من أن الفن الإسلامي يشترك في صفات مشتركة عبر العصور والأنماط المختلفة، إلا أن هذا لا يعني تجميده في مكانه دون التطور، حيث تتحقق الاضافات الجديدة والتغييرات بين الأنماط والعصور من خلال حلول إبداعية وامتدادات للمبادئ الأصلية للفن الإسلامي. يحدث التطور في التقنيات وظهور حلول جديدة مع تغير السلطات والظروف الاجتماعية والسياسية، دون أن يؤثر هذا في الأساس الفلسفي والجمالي للفن [14].

الفن الإسلامي مميز بطبيعته ويعبر عن العالم المستقل للأشكال والألوان ويعتمد على التناغم والتوازن والدقة. يعكس هذا الفن الاسترخاء والراحة الفكرية، مع غياب التوتر والعاطفة القوية. يعتمد على مجموعة من العناصر مثل الخطوط والأشكال الهندسية والزخارف النباتية لإنشاء تناغم جمالي يسهم في إيجاد مكان مريح للعقل والعين.

بشكل عام، يظهر الفن الإسلامي كفن متطور وديناميكي تميزه العديد من العناصر والأساليب الخاصة به، وهو يعبر عن تنوع ووحدة ثقافات العالم الإسلامي.

7. عناصر التشكيل المعماري في العمارة الاسلامية

تعد عناصر التشكيل في العمارة الإسلامية من العناصر المهمة التي تميزت بها العمارة الاسلامية، وتشير إلى الجوانب التصميمية والبنائية التي تظهر بشكل منتظم ومستمر في مختلف المباني الإسلامية عبر الزمان والمكان. هذه العناصر تمثل الأسس والمبادئ التي تجعل العمارة الإسلامية مميزة ومتميزة. إذ انها تعبر بحق على تفاعل العوامل الثابتة والعوامل المتغيرة في العمارة الاسلامية:

7.1 الزخرفة في العمارة الاسلامية

الزخرفة في العمارة الإسلامية هي عبارة عن تفاصيل تجميلية تشمل الفضاء، الكتل، الملمس، اللون، والأشكال الهندسية الأخرى. إن للزخرفة معنى مستقل وتخضع لقواعد وممارسات خاصة، وتُعتبر "غشاء" أو "نسيج" يكتنف جسم العمارة. المعماريون المسلمون لم يكن لديهم اهتمام كبير بتصوير الإنسان والطبيعة بطريقة محاكاة، بل كان اهتمامهم الأساسي هو بناء "مدينة الله"، حيث كانت الزخرفة تُظهِر الشهادة الفنية للتوحيد [35].

استخدم المعماريون المسلمون الزخرفة لإضفاء جمالية على المباني وتجنب الملل الناتج عن استخدام المواد الإنشائية المتكررة [19]. استخدموا مجموعة متنوعة من الأنماط الزخرفية لابتكار تصاميم جميلة وتعبيرية. لعبت الزخرفة دورًا مهمًا في تجسيد الجمالية والتعبير في العمارة الإسلامية، حيث يمكن رؤية هذه الزخارف في الجدران من خلال تلاعب بأنماط الطوب وإنشاء بروزات ومقرنصات وغيرها [36].

يعكس الاهتمام بالزخارف الحياة الحضرية والتنوع الثقافي للمجتمع الإسلامي، وتتكرر الأشكال بشكل غير منتهٍ وتتداخل مع بعضها لتشكيل أنماط معقدة. الزخرفة تُستخدم أيضًا كوسيلة للتأمل والذكر. يمكن للمشاهدين تأمل الأنماط الزخرفية والأشكال المعقدة للزخارف واستخدامها كوسيلة للتفكر في الله وتسبيحه.

إذاً، يُمكن النظر الى الزخرفة في العمارة الإسلامية على أنها عنصر جمالي وتعبيري يعكس القيم والروحانية الإسلامية ويوفر تفاصيل معمارية جميلة ومعقدة مع الالتزام بالقيود الدينية المتعلقة بتصوير الكائنات الحية.

7.2 الخط العربي في العمارة الإسلامية: بين الوظيفة والتناسب

الخط العربي هو عنصر مميز في الفن والعمارة الإسلامية، ويرتبط بالوحي القرآني ويعبر عن الهوية الثقافية. يستخدم كعنصر زخرفي في المباني، ويمتاز بقدرته على التجريد والجمالية [35]. تطورت علاقته بالعمارة عبر العصور، وأصبح رمزًا للهوية الإسلامية والجمال المعماري. تنوعت استخداماته وأنواعه، واجتاحت العالم الإسلامي وخارجه، مما يجعله عنصرًا مؤثرًا في التصميم المعماري [21]. يُعزز الخط العربي التناسب في العمارة الإسلامية من خلال استخدامه كعنصر زخرفي على واجهات المباني، مما يضيف لمسة جمالية مميزة وجوانب روحانية [24]. وبذلك، يلعب الخط العربي دورًا مهمًا في تسجيل الكلمة الإلهية وتعزيز التنسيق والأناقة في الفن والعمارة الإسلامية.

7.3 اللون في العمارة الاسلامية

يحمل اللون دورًا أساسيًا في العمارة الإسلامية، حيث يتجلى في تكويناتها وتصاميمها. إلى جانب دوره البنيوي في تغطية واجهات المباني وسقوفها وحمايتها من التأثيرات المناخية، يسهم اللون في تخصيص التصاميم بعناصر تعبيرية وفنية تضيف قيمة وجمالًا للمنشآت الإسلامية. في هذا السياق، يمكن مقارنة دور اللون بدور الزخرفة في تعزيز الطابع المعماري وإثراء التفاصيل التصميمية لهذه المباني [12]. من الجدير بالذكر أن المسلمين اعتمدوا على استخدام الألوان السماوية مثل الذهبي والأخضر والأزرق، وهي الألوان التي ترتبط بالماء والسماء والشمس والسهول. وعلى الجانب الآخر، يتم استخدام الألوان مثل الأحمر والبني والأصفر بشكل محدود وفي مساحات معينة [11]. تظهر الألوان بشكل استراتيجي للإسهام في خلق تصميمات معمارية جميلة ومتنوعة تعبر عن الهوية الإسلامية والجمالية.

7.4 المقرنصات والدلايات: لمسات فنية في العمارة الإسلامية

المقرنصات والدلايات في العمارة الإسلامية تُعدّ عناصر معمارية فريدة تشبه تصميم خلايا النحل [21]. تستخدم لتغطية الفراغات والمناطق المقعرة في المباني وتتميز بتصميم محكم وتناسب. تتداخل الخطوط والأشكال بشكل جمالي وتستخدم الرياضيات في تصميمها. تلعب دورًا مهمًا في توزيع الضوء وتنقية الإضاءة داخل المباني، مما يمنحها هوية خاصة وجمالية معمارية

[23]. تشكل هذه العناصر تحفًا معمارية تجمع بين الوظيفة والجمال، وتمثل تجسيدًا للإبداع والتعبير في العمارة الإسلامية، حيث تعزز من تجربة المكان وتضيف عمقًا جماليًا وفنيًا للبنية المعمارية.

7.5 العقد/الأقواس في العمارة الإسلامية

الأقواس في العمارة الإسلامية تعتبر جزءًا أساسيًا من العناصر التشكيلية وتستخدم لتزيين فتحات البناء والمساحات المحيطة بها. تتنوع أشكال الأقواس بين النصف الدائري والمتشكل من قوسين متمركزين داخل العقد. تمثل مصدرًا للإبداع والتفرد في التصميم العماري الإسلامي ويمكن توظيفها بأكثر من طريقة مع تداخلها لتشكيل تكوينات فنية. العقود تتميز بتنوع موادها وزينتها الملونة التي تتناغم مع المواد، وقد ظهرت تقنيات متقدمة مثل العقود المفصصة والأشكال المتنوعة مثل العقود الصماء والمنفرجة والمدببة في العمارة الإسلامي [21].

7.6 الايوان في العمارة الإسلامية: مظلة متعددة الاستخدامات

الإيوان هو مجلس مظلل أو قبو مفتوح المدخل، يُستخدم في العمارة الإسلامية في المدارس والخانقاه والبيوت والبيمارستانات. يتكون من قاعة مسقوفة محاطة بثلاثة جدران فقط، ويفتح على فناء أو حديقة من الجهة الرابعة. يعد الإيوان مرنًا ومتعدد الاستخدامات، حيث يُستخدم للصلاة والدروس والقراءة والاستراحة، ويُستخدم أيضًا للأنشطة الثقافية والاجتماعية والدينية [21]. يلعب دورًا مناخيًا في توجيه الهواء وتقليل حرارة المكان وعزل الغرف المجاورة. يؤثر الإيوان في شكل المباني وتوزيعها، ويحكم النسب والتوازن في الواجهات، ويُشكل محورًا للتصميم الداخلي والزخارف. يعد الإيوان عنصرًا أساسيًا في العمارة الإسلامية، حيث يظهر تناغمًا وانسجامًا في المباني ويكون علامة تمييزية بارزة [40]. هذا العنصر المعماري يشجع على الاستفادة القصوى من الفضاء والضوء الطبيعي، مما يجعله جزءًا مهمًا من الهوية المعمارية الإسلامية.

7.7 القباب في العمارة الإسلامية

القباب في العمارة الإسلامية تتميز بتنوعها وتتضمن القباب المخروطية والنصف كروية والمدببة والبصلية والمضلعة. تُقام عادة على مساقط مربعة أو دائرية ويمكن تحويل المسقط المربع إلى دائري. تُزخرف الجدران الخارجية للقباب ببلاطات ملونة والجدران الداخلية بالجص والزخارف [27]. تُعتبر جزءًا أساسيًا من تصميم المباني الدينية وتحمل رمزية خاصة، حيث تمثل قبة السماء والاتساع اللانهائي للسماء في الإسلام. تُظهر أهمية المحراب في المساجد وتُعزز من روحانية المكان [32]. فالزخارف والنقوش الموجودة على الجدران الخارجية للقباب تضفي على القباب رونقًا جماليًا وتعزز من تفرد التصميم. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تحمل القباب رموزًا دينية أو رموزًا زخرفية تعبر عن القيم والتقاليد الإسلامية. القباب أيضًا تساهم في تحديد الهوية المعمارية للمباني، حيث يتم توزيعها بشكل محكم داخل المسجد أو المبنى الديني. يمكن أن تكون القباب مركزًا هامًا في التصميم، وهي تعطي للمبنى مظهرًا متميزًا ومتوازنًا.

بالمختصر، القباب تعكس التفرد والزخرفة والجمال في التصميم المعماري الإسلامي، وترتبط بالعناصر الأخرى مثل الزخارف والألوان والأشكال الهندسية لتشكيل مظهرها وتأثيرها على البنية المعمارية.

7.8 المئذنة في العمارة الإسلامية

المئذنة هي هيكل معماري يُستخدم للأذان وتُعرف أحيانًا في المغرب بالمنارة. تمتاز بأناقتها وفنها وتاريخها العريق وتمثل جزءًا روحانيًا في المدن الإسلامية [39]. تعتبر المئذنة علامة رأسية تُستخدم للتذكير بالسماء وتكمن جمالية تصاميمها في تنوعها وارتفاعاتها المتنوعة. تظهر على شكل أبراج شاهقة وتكون عادة منفصلة عن المسجد وموجودة في مواقع مختلفة في المدينة. تستخدم مواد البناء المتنوعة في تشييدها وتُزين بالزخارف والرسوم، وتُعتبر تصاميمها نحتًا فنيًا يعبّر عن التعبير المعماري الفني والروحاني [23]. تساهم المآذن في بناء الهوية المعمارية للمباني الإسلامية وترسخ القيم والتقاليد الإسلامية في البنية المعمارية للمدينة. إذاً، المآذن تشكل عنصرًا بارزًا في التشكيل المعماري للعمارة الإسلامية، وتمثل توازنًا بين الجمال والوظيفة والرمزية في التصميم.

7.9 الأعمدة والتيجان في العمارة الإسلامية

العمود هو العنصر الهيكلي الذي يدعم السقف أو الجدار ويتألف عادةً من القاعدة والبدن والتاج. في العمارة الإسلامية، تطوّر تصميم الأعمدة ليتناسب مع الفن الإسلامي وأصبحت متنوعة في الأشكال بما في ذلك المثمنة والمستطيلة والدائرية والنصف دائرية وغيرها [32]. تستخدم هذه الأعمدة لدعم البنيات المعمارية وتزخرف بها أحيانًا، وتبرز بتصاميمها الرصينة والقوية في الفراغ المحيط بها [19]. تجسد الأعمدة في العمارة الإسلامية فرادة البنية المعمارية والابتكار الفني والاهتمام بالتفاصيل. تأخذ أشكالها وتصاميمها طابعًا فنيًا يعبر عن الهوية والجمالية الفريدة لهذه العمارة.

7.10 الأبواب في العمارة الاسلامية

تحظى المداخل في العمارة الإسلامية بأهمية كبيرة، حيث غالبًا ما تُوضَع في مواقع عميقة وترتفع إلى أعلى، وفي بعض الأحيان تتجاوز ارتفاعها حتى يصل إلى ارتفاع الهيكل نفسه. تُصمَّم قمة المدخل بشكل ربع كروي وغالبًا تُدعم بنصف قبة أو مقرنصات، وهذا يعزز الطابع الفريد للمداخل الإسلامية ويضفي عليها تميزًا معماريًا بارزًا [11]. تمثل الأبواب عنصرًا مهمًا في العمارة الإسلامية وتعكس العديد من الخصائص والأساليب المعمارية والزخارف التي تميز هذا النمط الفني، منها:

1. الأبواب في العمارة الإسلامية تأتي بأشكال وأحجام متنوعة وتتميز بزخارف غنية. يمكن أن تكون الأبواب مزخرفة بنماذج هندسية متكررة أو بزخارف نباتية وكتابات إسلامية جميلة.
2. تعتمد مواد الأبواب على الموارد المتاحة في المنطقة. قد تكون الأبواب مصنوعة من الخشب، أو الحديد، أو النحاس، أو حتى الزجاج الملون. بالإضافة إلى ذلك، تتميز الأبواب بالبنية الصلبة والقوية لضمان الأمان والمتانة.
3. تحمل الأبواب في العمارة الإسلامية غالبًا زخارفًا إسلامية خاصة، مثل الخط العربي والآيات القرآنية والأحاديث النبوية. توضح هذه الزخارف التعبد والعبادة في الثقافة الإسلامية.
4. تأتي الأبواب في العمارة الإسلامية بتصميم هندسي معقد وجميل. يمكن أن تكون الأبواب مزودة بأقواس وقباب وأعمدة ونوافذ مزخرفة، وهذا يعزز من جمالية المدخل ويعكس التصميم الفني للعمارة.
5. يتم استخدام الأبواب في العمارة الإسلامية للإشارة إلى الدور الثقافي والديني للمباني. تكون الأبواب غالبًا نقطة انطلاق للزوار إلى الأماكن المقدسة مثل المساجد والمدارس والقصور.
6. تلعب الأبواب دورًا مهمًا في حفظ الخصوصية في المنازل والمباني العامة. تصمم بعناية لتوفير الأمان والحماية من الظروف الجوية القاسية والتدخلات غير المرغوب فيها.

في الختام، يمثل التصميم والزخارف والمواد المستخدمة في الأبواب في العمارة الإسلامية مظهرًا فريدًا من الفن والثقافة الإسلامية، وتعكس قيمًا دينية وثقافية مهمة في العالم الإسلامي.

8. خصائص العمارة الإسلامية

العمارة الإسلامية لها خصائص ومميزات تميزها عن العمارة في ثقافات أخرى. إليك بعض الخصائص الرئيسية للعمارة الإسلامية:

8.1 الاحتواء Enclosure

الاحتواء هو سمة بارزة في العمارة الإسلامية حيث تتم معظم الأنشطة الحيوية داخل المباني، ويُفضل التركيز على الداخل بدلًا من التصميمات الخارجية. الشكل الخارجي للمباني الإسلامية عادة مكون من جدران مستمرة أو متكسرة، أو أسطح مستوية أو مقببه أو أبراج. هذا الأسلوب المعماري يتجنب التركيز على الواجهات الخارجية [23].

الاحتواء في العمارة الإسلامية ينتج عن عدة أسباب، بما في ذلك البيئة، حيث كثيرًا ما تقع المدن الإسلامية في مناطق صحراوية. توجه البناء نحو الداخل يقلل من التعرض لأشعة الشمس ويزيد من العزل الحراري ويحافظ على درجات الحرارة المناسبة داخل المباني [36].

لتحقيق الاحتواء في المدن والمباني الإسلامية، تُستخدم وسائل مثل الجدران والبوابات والأبراج والأفنية. الجدار هو وسيلة تحديد المكان والإعلان عن الملكية، بالإضافة إلى أنه وسيلة أساسية للدفاع. البوابات تُستخدم كنقاط انتقال بين الداخل والخارج. الأبراج تعزز من معنى الاحتواء وتحدد حدود الحيز الفراغي.

الفناءات الداخلية تُعتبر الهدف النهائي للأماكن المحيطة بالمباني الإسلامية. هذه الفناءات تتنوع في الشكل والحجم وتحيط بها صفوف من العقود والأروقة، مما يُشعر الأفراد بالاحتواء والإغلاق. تعتبر الفناءات أيضًا نقطة للتواصل مع البيئة الخارجية وتعزز العلاقة بين الناس والمكان [23].

بالإضافة إلى ذلك، تلعب الفناءات دورًا في تحسين البيئة الداخلية وتدوير التيارات الهواء، مما يساعد على تحسين درجات الحرارة في المباني وتوفير مناخ مناسب.

8.2 الظهور *Exposure*

في العمارة الإسلامية، يعد الاحتواء مفهومًا يعبر عن التشابه والتكامل بين المباني والنسيج الحضري، بينما يُعبر مفهوم الظهور عن الاختلاف والتميز. الاحتواء يشير إلى توجه المباني والنسيج الحضري نحو الداخل، بينما الظهور يعني التوجه نحو الخارج. هذا التحول في المفهوم يعكس التأثيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية على العمارة الإسلامية.

مباني الظهور هي مبانٍ منفردة تختلف عن محيطها، بينما مباني الاحتواء كانت جزءًا من النسيج الحضري المتجانس الذي كان يتجه نحو الداخل. تعرف مباني الظهور بأسمائها كرمز لأهميتها في المدينة والثقافة [23].

عمارة الظهور تُولي اهتمامًا خاصًا للجانب البصري، حيث يمكن للأفراد الاستمتاع بها من خلال البصر. المحاور البصرية تلعب دورًا هامًا في تصميم هذه العمارة.

مثال بارز على عمارة الظهور هو تاج محل في العصر المغولي، حيث يُظهر كيف يمكن دمج مكونات بسيطة مثل الإيوانات والقبب والمنائر والزخارف والمحاور المتعامدة بطريقة مبتكرة لخلق تصميم معماري فريد. كانت عمارة الظهور دائمًا مرتبطة بالسياق الاقتصادي والسياسي والتاريخي، وتُؤسس لهذه العمارة [23].

8.3 لتكرار *Repetition*

التكرار في العمارة الإسلامية يمثل مضاعفة للعناصر والأشكال والمفردات البصرية والجمالية في العمارة، وهذا التكرار يتجلى في مفهوم الطبقات. يمكن أن يكون هذا التكرار متعلقًا بأي عنصر معماري سواء كان جزءًا من مبنى أو جزءًا من نسيج المدينة أو حتى عنصرًا معماريًا فرديًا. يتمثل التكرار في إعادة استخدام هذه الطبقات والعناصر بأشكال مختلفة في سياقات مكانية متعددة.

التكرار يعكس الجانب الكمي والحسابي للعمارة، حيث تتكرر الطبقات والعناصر بناءً على متواليات هندسية أو عددية تتناسب مع حجم المبنى أو المدينة أو العنصر المعماري. يعد التكرار مرادفًا للنظام في العمارة، حيث يجلب الاستقرار والتوازن. يعمل التكرار اللامتناهي على تحقيق استمرارية بصرية بين جميع عناصر الأسطح المعمارية [23].

تنطوي القيمة الجمالية والبصرية للتكرار في العمارة الإسلامية على إعطاء الأولوية لعناصر معينة أو تحديد سلطة لهياكل البناء. يؤدي هذا التكرار إلى اندماج المادة وتقليل التوجهية والمركزية، وبالتالي يعكس روح الإسلام [36].

باختصار، التكرار في العمارة الإسلامية يعبر عن مفهوم الطبقات ويمثل الجانب الكمي والحسابي للعمارة، ويؤدي إلى تحقيق استقرار بصري وتوازن جمالي، مما يعزز الروح والهوية الإسلامية.

8.4 المركزية

يقول المعموري: "ان المفهوم في الخطاب الاسلامي يقوم على آلية الفكر الاسلامي، واستنادا الى ما تمليه العقيدة والشريعة على ذلك الفكر من مقومات، تجعل المفهوم يرتبط بصفة القواعد، والمعرفة تمثل الادوات، فالقواعد تتصف بالسعة والتكاثف اما الادوات فتمييز بالتغير والنمو والتطور، بينما يرتبط المفهوم بالسعة. لذلك فان المفاهيم ضمن الفكر الاسلامي، اتصفت بالمركزية لان اساسها واحد، قائم على التوحيد، من خلال القانون الاسلامي الذي اساسه القرآن والسنة النبوية الشريفة".

في العمارة الإسلامية، المركزية تعني أن هناك نقطة مركزية رئيسية تُعتبر نقطة التوجه والتميز داخل التصميم المعماري. هذه النقطة المركزية تُستخدم لتنظيم وتنسيق العناصر المعمارية المختلفة في المبنى أو المدينة.

على سبيل المثال، في المساجد الإسلامية، يمكن أن يكون المحراب (المكان الذي يتوجه إليه المصلين أثناء الصلاة) هو المحور المركزي. تصميم المسجد يتم تنظيمه حول هذا المحور بحيث يكون مركزيًا في البنية والزخارف والأعمدة والقباب والديكورات.

هذا المفهوم يعكس فكرة التوحيد في الثقافة الإسلامية والتركيز على الوحدة والتميز في العمارة. بالإضافة إلى ذلك، يساهم في إيجاد توازن بصري وجمالي يضفي على المباني والمدن الإسلامية شكلًا مميزًا وجاذبية بصرية [28].

خلاصة القول نرى ان العمارة الإسلامية تجسد الوحدة والتعددية في الوقت نفسه. هذا التنوع والتعددية في العمارة الإسلامية يمكن أن يرتبط بتأثيرات البيئة المحلية والظروف الجغرافية والثقافة المحلية. ومع ذلك، فإن وحدة الأسس الدينية والفلسفية للعمارة الإسلامية تظل ثابتة. هذه الوحدة تجعل العمارة الإسلامية متعددة الأوجه ومتنوعة في التفاصيل، ولكنها تحمل دائمًا الروح الإسلامية والوحدة التي تربط المسلمين في مختلف أنحاء العالم.

9. الثابت والمتغير في العمارة/ الجانب العملي

من خلال التفكير في الجوانب المفاهيمية السابقة، وصلنا إلى مجموعة من المفاهيم والعناصر والسمات التي تكون وتميز العمارة الإسلامية، والتي كانت تُجسِّد في العمارة الإسلامية التقليدية. سنقوم الآن بتحليل الأقسام السابقة باستخدام مثال مبنى جامع الخلفاء، والذي يشكل واجهة بين العمارة الإسلامية التقليدية والعمارة الإسلامية المعاصرة، لنقيم إلى أي حد تم تحقيق وتجسيد مفهوم الثابت والمتغير في التشكيل المعماري الإسلامي المعاصر.

9.1 تاريخ جامع الخلفاء:

يعود تاريخ مئذنة جامع الخلفاء للدولة الايلخانية –العصر المغولي-، اذ قام الايلخانيون بترميم مجموعة من المباني التي تم تدميرها عند غزو هولاكو او تدمرت بفعل عوامل الزمن، ومن ضمن هذه المباني هي مئذنة جامع الخليفة[1]

[1] جامع الخليفة: هو جامع يقع في بغداد الشرقية، امر بإنشائه الخليفة المكتفي بالله عام 289هـ/902م، وانتهى من بناءه عام 295هـ/908م. وكان معروف في حينها بجامع القصر بعد ذلك دعي بجامع الخلافة، ومن اسماءه جامع الخلفاء الذي مازال يعرف به الى وقتنا الحالي. ويقال ان خلفاء بغداد كان يؤدون فيه صلاة الجمعة، وقد هدم واعيد بناءه في زمن الايلخانيون، وقد تهدم بناء الجامع وبقت المئذنة لغاية الان [13].

كما كان يطلق عليه في حينها، او مئذنة سوق الغزل كما يطلق عليها في الوقت الحالي. ففي عام 670هـ/ 1271م امر والي العراق من قبل هولاكو علاء الدين الجويني، بتجديد عمارة منارة جامع الخليفة، فشرع شهاب الدين علي بن عبد الله مدير الاوقاف في وقتها بتجديد البناء وانجز في اواخر شعبان من تلك السنة، الا ان المنارة سقطت في رمضان بعد انتهاء المصلين من صلاة التراويح، فامر بإعادة بناء المئذنة مرة اخرى فتم بناء مئذنة ضخمة جبارة استمر بناؤها لمدة 8 سنوات اذ انتهي منها في عام 678هـ/ 1278م [30].

يعد جامع الخليفة من اهم الجوامع التي بنيت في العصر العباسي، او بالأحرى أحد اهم ثلاث جوامع كبيرة في حينها –الجامعين الاخرين هما جامع السلطان وجامع الرصافة-، ويذكر ان الجامع كان متصل بدور الخلافة والقصور وكانت توجد به سقايات واماكن للوضوء والغسل، وكانت تعقد به حلقات الوعظ والفقه وتقام به الندوات، وفي جنباته كانت تبنى الحياة الاجتماعية والاقتصادية لأهل مدينة بغداد [30]. تم ترميم الجامع ومأذنته واستمر في الوجود لحوالي الالف سنه [34]، الا انه هدم بفعل الزمن وتخريب الجيوش الاستيطانية ولم يبق من الجامع سوى منارته. تمتاز مناره سوق الغزل بضخامتها نسبة الى مآذن بغداد السابقة واللاحقة ايضا، إذ انها ترى من مسافات بعيده حيث يبلغ ارتفاعها (33م)، ومحيطها يبلغ (20.64م) في القاعدة و(16.20م) في بدن المئذنة. ونلاحظ ان قاعدتها مضلعة تتألف من (12) ضلعا بارتفاع (8م)، وتتميز بوجود حوضين الاول اعلى القاعدة ومنه يبرز سلمان يؤديان الى الحوض الثاني الذي يكون اعلى بدن المئذنة، يحيط الحوض الثاني برقبة اسطوانية رشيقة نوعا ما تنتهي بقبة صغيرة بصلية الشكل، ونرى في المئذنة المقرنصات البديعة المتقنة الصنع والتكوين والمزينة بالزخرفة الرائعة والتي تسند الاحواض، وتوجد الزخرفة ايضا على بدن المئذنة واستخدم الاجر المحفور في صناعتها او التلاعب في عملية رصف الاجر لإنتاج الزخرفة البديعة [13].

تعرضت المئذنة للتخريب بحيث شوهت معالمها وزخرفتها، وكادت السلطة الاستعمارية البريطانية في حينها نسفها عام 1940م وازالة المعالم الاثارية البارزة، ولكن قامت مديرية الاثار العامة بحماية هذا المنارة المتميزة واعادة ترميمها وصيانتها والحفاظ عليها من الاندثار. وقام ديوان الاوقاف بالأمر ببناء جامع عند هذه المئذنة لما لها من اهمية دينية وآثاريه [13].

في عام 1961، تم اختيار المهندس المعماري محمد صالح مكية من قبل مديرية الأوقاف العراقية لتصميم وإعادة بناء جامع الخلفاء في بغداد. استلهم مكية في تصميمه من الهندسة المعمارية للعصر العباسي، قام مكية بدمج المئذنة في التصميم الحديث للجامع بطريقة تجعل الجامع يبدو وكأنه لم يتم هدمه من قبل. تضمن المسجد الحديث مصلىً بتصميم ثماني الشكل يتوسطه قبة مزخرفة بالخط العربي الكوفي، حيث يصل ارتفاع القبة إلى حوالي سبعة أمتار فوق الارتفاع الأساسي للبناء الذي يبلغ نحو 14 مترًا. ويوجد ثلاثة أروقة تؤدي إلى المصلى، وتم طلاء السطح الخارجي للقبة باللون الأصفر الحنطي ليتناسب مع مظهر المئذنة، وتم تزيين قاعة الحرم بتدرجات اللون الاصفر المختلفة لتشكل أشكالًا هندسية متنوعة [7]. انتهى العمل في بناء الجامع الحديث في عام 1964، وتم افتتاحه في صلاة الجمعة بتاريخ 6 حزيران 1966 بعد استكمال الأعمال البنائية [10].

9.2 تحليل تصميم جامع الخلفاء:

يظهر المسجد الذي يتم بناؤه كنموذج للتعامل الحكيم مع المكان والتراث الثقافي، حيث يجمع بين الحاضر والماضي بشكل متقن. يعد هذا المشروع تحفة معمارية تستثمر في القيم التاريخية والجمالية للمكان وتجسيدها بأسلوب معاصر. إن هذا التوازن الفني بين القديم والجديد يتجلى بوضوح في تفاصيل المسجد. فمن جهة، يسعى التصميم إلى إعادة تكييف التفاصيل التقليدية الموجودة على سطوح المئذنة المجاورة بأناقة واحتراف. ومن جهة أخرى، يهدف التصميم إلى تأسيس عناصر معمارية حديثة تندمج بشكل متناغم مع مواد البناء الحديثة وتوظفها بكفاءة.

لهذا السبب، لم يكن القرار التصميمي يتعلق بإيجاد مساحات مناسبة للصلاة فقط، بل كان يهدف أيضًا إلى إظهار الجوانب التاريخية لهذا المكان والتماشي مع العناصر والرموز المألوفة للذاكرة الجمعية. في هذا السياق، استفاد المعمار من الحدث التصميمي لإعادة إنتاج واحياء التراث الثري والمميز الذي يلهم ويشجع المهندسين المحليين. حيث يجمع بين فهم عميق للتاريخ والتراث وروح الإبداع والتجديد المعماري، ليخلق مسجدًا يعبر عن تفرد معماري رائع ويعزز الهوية الثقافية والتاريخية للمكان. فقد تم تصميم المسجد بعناية ليحقق توازنًا بين العناصر التقليدية والحديثة في العمارة، مما أضفى على المسجد جاذبية ورونقًا خاصًا.

بالمجمل، يشكل هذا الجمع بين العناصر التقليدية والحديثة في عمارة "جامع الخلفاء" نموذجًا للتفكير التصميمي المتقدم والقدرة على تحقيق التوازن بين الموروث الثقافي والتطلعات المعمارية الحديثة. إن هذا المزج الرائع يمنح المسجد تجربة بصرية ممتعة وفريدة، حيث يتم دمج العناصر التقليدية بأسلوب معاصر متألق. ففيه نرى المحاولة لفهم العمارة التقليدية، وإدراك مدى ارتباطها بالسياق المكاني والجغرافي ومدى انسانيتها، واعادة انتاج هذه العمارة التقليدية في عمارة معاصرة تحاول ان تتواصل مع السياق الزمني ضمن المشهد العمراني القائم.

فمن ناحية السياق المكاني: تتميز منطقة سوق الغزل بانها منطقة لها تاريخ عظيم حيث كانت مقر لاهم الابنية في الفترة العباسية، حيث قصور الخلفاء والمساجد التي تم بناءها في ذلك الوقت، وفي الفترات اللاحقة حتى العصر العثماني. فهي اذن منطقة متميزة ذات شأن كبير ولها باع طويل في العمران. لذا يجب مراعاة ذلك عند اقامة اي مبنى سواء كان مبنى ديني او عام. واهم عنصر في المكان هو وجود مئذنة جامع سوق الغزل التي يعود تاريخها الى الفترة الايلخانية –المغولية-، والتي تعد شاهد على حضارة مزدهرة وتشكيل معماري مبهر يعود الى فترات اسلامية سابقة.

اما من ناحية السياق الزماني: تم بناء جامع الخلفاء في خمسينيات القرن الماضي حيث دخول مواد جديدة في البناء كالكونكريت المسلح. اضافة الى انتشار افكار الحداثة ونظرياتها في العالم الغربي والعربي والعراقي على وجه الخصوص.

لذا كان من الواجب ان تكون عملية اعادة ترميم مئذنة جامع سوق الغزل، واضافة جامع قربها، ان يتناسق معها ومع السياق المكاني التاريخي. ويعيد احياء افكار العمارة والتشكيل المعماري في الفترات الاسلامية السابقة. ويجب ان يتناسق مع السياق الزماني للعمارة المعاصرة له وتقنيات البناء والتكنلوجيا المستخدمة في ذلك الزمان.

استخدم المعمار في مسجد الخلفاء مجموعة من عناصر التشكيل المعماري، فقد استخدم القبة والاقواس والخطوط العمودية والمائلة وانواع من الزخارف النباتية والهندسية، اضافة الى استخدام الخط في كتابة الآيات القرآنية التي تزين المبنى. كل هذه العناصر استخدمت من خلال مجموعة من العلاقات، اذ استخدم التكرار والتنوع في العناصر وطريقة تكرارها، واعاد تأهيل المقرنصات والحنيات واعاد لها شكلها الاصلي الذي كانت عليه. اذ خلق هذا التكرار والتنوع نوع من الوحدة والنظام في التشكيل المعماري الناتج. واستخدم مواد الانشاء الحديثة كالكونكريت والحديد لكن بطريقة لا تتعارض مع مضمون العمارة الاسلامية ومفاهيمها. نلاحظ في هذا المبنى كيف تعامل المعمار مع مفردتي الثابت والمتغير. فعلى الرغم من استخدام التقنيات والمواد الجديدة والمتطورة الى انه حافظ على مقومات العمارة الاسلامية وخصائصها ومكوناتها الاساسية وتعامل معها بطريقة بحيث تظهر بقالب عصري مع المحافظة على مضمونها الاسلامي. وحاول التناسق مع السياق المكاني للمبنى، حيث اقام مبناه بطريقة لا تتناقض مع تاريخ المنطقة وعراقتها، ولا تتعارض مع المعلم التاريخي الاسلامي وهي المئذنة. ويتناسق مع السياق الزماني عن طريق استخدام المواد الحديثة وتكنلوجيا العصر انظر شكل 1.

بشكل عام، يعكس هذا المشروع التفكير التصميمي المتقدم والقدرة على تحقيق توازن بين الموروث الثقافي والتطلعات المعمارية الحديثة في العمارة الإسلامية. يمثل نموذجًا لكيفية التعامل مع الثابت والمتغير بشكل متناغم لإنشاء تجربة بصرية مميزة ومعاصرة تعزز الهوية الثقافية والتاريخية للمكان.

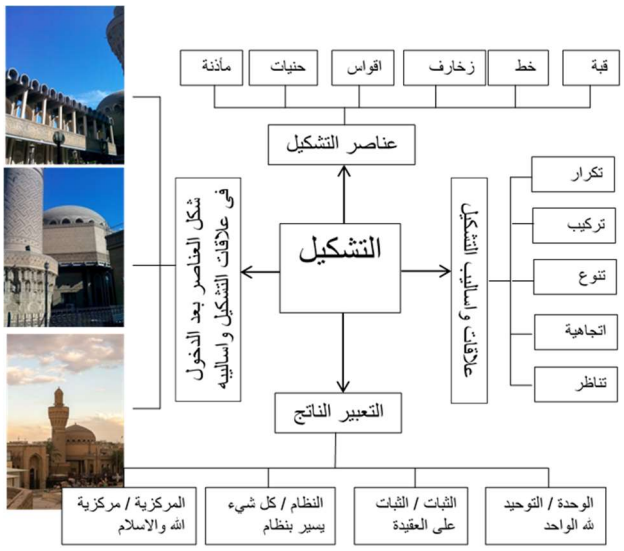

شكل 1: الثابت والمتغير في عمارة جامع الخلفاء [الباحث]

10. الاستنتاجات والتوصيات

10.1 الاستنتاجات

من المواضيع التي تم مناقشتها في هذا البحث نتوصل الى مجموعة من الاستنتاجات من الممكن ان نلخصها بالنقاط التالية:

1. يُعرَّف "الثابت" بأنه ما لا يتغير مع مرور الزمن ويظل مستقرًا، وتُظهَر القيم الثابتة قدرتها على التكيف مع فرائض المكان والزمان دون تغيير. إنها قيم مستدامة ومستقرة لا تتأثر بالتباين الثقافي أو الديني، مما يعكس جوهرًا إنسانيًا وحضاريًا مشتركًا. بينما "المتغير" يشير إلى ما يتغير ويتقلب مع مرور الزمن أو التغيرات في الظروف.

2. أثبت هذا البحث أن العمارة الإسلامية ليست مجرد هيكل مادي، بل هي جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية. تمثل العمارة وسيلة للتعبير عن الهوية الروحانية الإسلامية من خلال العناصر المعمارية والزخارف.

3. أظهرت البحث التفاعل الديناميكي بين العناصر الثابتة والمتغيرة في العمارة الإسلامية. هذا التفاعل يسهم في تجديد وتطوير التصميم المعماري بمرور الزمن.

4. ان التفاعل بين العناصر الثابتة والمتغيرة يعكس هذا التفاعل الديناميكي كيف تمكنت العمارة الإسلامية من الاحتفاظ بالعناصر الثابتة كالقيم الدينية والاعراف والتقاليد مع مواكبة التحديات التكنولوجية. تمكن هذا التفاعل من تطوير تصميمات معمارية جديدة تمثل هوية إسلامية معاصرة.

5. من خلال دراسة التطور الزمني للعمارة الإسلامية، أظهر البحث كيف تأثرت العمارة الاسلامية بالتغيرات الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية عبر العصور. اذ تطوّرت العمارة الإسلامية منذ أيام الخلافة الراشدة إلى العصور الوسطى وصولاً إلى العمارة الحديثة، وهذا التطور يعكس تأثير العوامل المتغيرة والتغيرات الزمنية.

6. من الجانب العملي ممكن استنتاج. يتم التعامل بعناية مع العناصر التقليدية في العمارة الإسلامية (القبة والاقواس والخطوط والزخارف النباتية) كأسس ثابتة تشكل الهوية المعمارية والثقافية للمكان. وفي الوقت نفسه، يتم إدخال عناصر معمارية حديثة وتقنيات بناء معاصرة كمتغيرات تساهم في تجديد المكان وجعله يتناسب مع العصر الحالي.

7. أهمية الحفاظ على الجوانب التاريخية والجمالية للمكان وتجسيدها بأسلوب معاصر. يُظهر ذلك من خلال التوازن بين الثابت والمتغير فيتم الاستفادة من القيم التاريخية والجمالية لتحقيق تصميم معاصر.

8. يعكس المشروع تفهمًا عميقًا للسياق المكاني والزماني. فيجب أن يتوافق التصميم مع التاريخ المحلي والمكاني ويعيد إحياء العمارة التقليدية بشكل معاصر دون التنازل عن مضمونها.

9. يتم الحفاظ على الهوية الثقافية والتاريخية للمكان من خلال تحقيق توازن بين القديم والجديد في العمارة. يتم ذلك من خلال دمج العناصر التقليدية بأسلوب معاصر يعزز الهوية المحلية.

خلاصة القول فان البحث يظهر أن العمارة الإسلامية تمثل توازنًا ديناميكيًا بين العناصر الثابتة والمتغيرة، وهذا التفاعل الفني والهندسي يشكل أساسا لتطورها. أوضح البحث كيف أن العوامل المتغيرة، مثل التكنولوجيا والتقنيات الحديثة، لها تأثير كبير على العمارة الإسلامية من خلال تقديم مواد جديدة وأساليب بناء متطورة. وبالرغم من هذا، يظل التصميم المعماري متأصلاً في العناصر الثابتة كالقيم الدينية والاعراف والتقاليد، مما يسمح للعمارة بالاحتفاظ بهويتها الثقافية والدينية. هذا التوازن يُظهر كيف يمكن للعمارة الإسلامية أن تتطور عبر العصور مع الاستفادة من التقنيات الحديثة والتحولات الاجتماعية والثقافية.

10.2 التوصيات

1- عمل دراسة أكثر تفصيلاً للتأثيرات الثقافية والاجتماعية على التصميم المعماري في العمارة الإسلامية عبر العصور. هذا سيساعد في تفهم أفضل لكيفية تجسيد الهوية الإسلامية من خلال التصميم.

2- استكشاف التفاعل بين العمارة الإسلامية والتكنولوجيا الحديثة بشكل أعمق، مع التركيز على كيفية استفادة التكنولوجيا من أجل تجديد التصميم المعماري دون التخلي عن الجوانب الثابتة.

3- دراسة تأثير التصميم المعماري على الجوانب الثقافية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية وكيف يمكن أن يسهم التصميم في تعزيز التراث الثقافي.

4- دراسة تأثير العمارة الإسلامية على البيئة والاستدامة، وكيف يمكن تطوير التصميم المعماري لتحقيق أهداف الاستدامة.

المصادر

[1] القران الكريم.
[2] اسماعيل، عمرو، "في الفن المعماري الاسلامي/ نماذج من تشكيل العمارة الدينية"، منشورات دار الصحافة العربية، 2020.
[3] البشير، عصام احمد، "مفهوم الثابت والمتغير في المجتمعات الانسانية المعاصرة"، مؤتمر مكة المكرمة الثالث عشر، المجتمع المسلم. الثوابت والمتغيرات، تنظيم رابطة العالم الاسلامي، مكة المكرمة، 2012.
[4] ثويني، علي، "العمارة الاسلامية –سجالات الحداثة"، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات اختلاف، 2009.
[5] حمندي، محمود، "عمارتنا اليوم بين الفوضى والنظام"، اراء نخبة من المعماريين عن حالة العمارة في العصر الراهن وفلسفتها التصميمية، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الاولى، بغداد، 1992.
[6] جبر، فلاح، "العمارة والفن الاسلامي"، مجلة كلمة، العدد 76، 2012.

[7] الجلبي، محمد رضا، "موسوعة العمارة العراقية/ توثيق للعمارة ومعماريها"، الجزء الثاني، دار الكفيل للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، كربلاء، العراق، 2018.
[8] الجوهري، محمد، الثقافة العربية والحضارة الاسلامية"، دار الامين للنشر، القاهرة، 1997.
[9] ساسي، سناء، "العمارة الاسلامية تنوع في الخصائص ووحدة في المضمون"، الحوار المتمدن، العدد 5739، 2017.
[10] السامرائي، يونس الشيخ ابراهيم، "تاريخ مساجد بغداد الحديثة"، مطبعة الامة، الطبعة الاولى، بغداد، 1977.
[11] السراج، احمد، "العمارة الاسلامية خصائص وآثار"، جامعة الاقصى، مكتبة ومطبعة الطالب الجامعي، فلسطين، 2015.
[12] السلطاني، خالد، "حديث في العمارة"، الموسوعة الصغيرة 156، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985.
[13] سلمان، عيسى وآخرون، "العمارات العربية الاسلامية في العراق/ الجزء الاول تخطيط المدن والمساجد"، دار الرشيد للنشر، العراق، 1982.
[14] الصائغ، سمير، "الفن الاسلامي/ دراسة تأملية في فلسفته وخصائصه الجمالية"، دار المعرفة، الطبعة الاولى، بيروت، 1988.
[15] عبد اللطيف، جميلة، "العمارة الاسلامية"، مجلة جرش للبحوث الاسلامية، المجلد 23، العدد 1، 2022.
[16] عبد الله، ماهر ناصر، "مميزات العمارة الاسلامية وخصائصها التكوينية"، مجلة اوروك للأبحاث الانسانية، مجلد 163، العدد الثاني، 2009.
[17] العبدلي، كريم منعم عبد الحسين، "الثابت والمتغير في بنية الصورة للعمارة الاسلامية/ عبر مفردات الفكر الاسلامي"، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الهندسة، جامعة بغداد، 2000.
[18] العسكري، عبد الحسين عبد علي مريعي، "تشكيل المفهوم المعماري في الخطاب الحضاري وفق نظرية القيمة"، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الهندسة، جامعة بغداد، 2002.
[19] عكاشة، ثروت، "القيم الجمالية في العمارة الاسلامية"، دار المعارف، القاهرة، 1981.
[20] عمر، احمد مختار، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، المجلد الاول، عالم الكتب، الطبعة الاولى، القاهرة، 2008.
[21] غالب، عبد الرحيم، "موسوعة العمارة الاسلامية"، جروس بريس، الطبعة الاولى، بيروت، 1988.
[22] فياض، رهيف، "العمارة ووعي المكان"، دار الفارابي، الطبعة الاولى، لبنان، 2004.
[23] القحطاني، هاني محمد، "مبادئ العمارة الاسلامية وتحولاتها المعاصرة/ قراءة تحليلية في الشكل"، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009.
[24] القحطاني، هاني محمد، "الكتابة والعمارة/ تحليل بصري تاريخي لاهم تجليات الخط العربي في العمارة الاسلامية"، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد الثامن، السنة الرابعة، 2012.
[25] اللواتي، علي، "نحو نظرية للجمالة الاسلامية"، الفن العربي الاسلامي، الجزء الاول/ المداخل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1994.
[26] مسعود، جبران، "الرائد الصغير/ معجم ابجدي للمبتدئين"، دار العلم للملايين، الطبعة الاولى، بيروت، 1982.
[27] مصطفى، صالح لمعي، "القباب في العمارة الاسلامية"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987.
[28] المعموري، حمزة، "النظام في العمارة العربية الاسلامية وأثر تحولاته في آلية انساقها/ دراسة تحليلية للتحولات الحضرية"، نور للنشر، المانيا، 2016.
[29] المعموري، عبد الله سعدون سلمان، نبراس محمد هادي رضا، اسيل جعفر جاسم، "الثابت والمتغير في المعرفة المعمارية"، مجلة اتحاد الجامعات العربية للدراسات والبحوث الهندسية، المجلد 27، العدد 3، العراق، 2020.
[30] مكية، محمد، "بغداد"، ساهم في اعداد البحوث: مصطفى جواد، احمد سوسه، ناجي معروف، شركة دار الوراق للنشر المحدود، الطبعة الثانية، لندن، 2009.
[31] النخيلة، حسن عبود، نزار علي حمادة، "الثابت والمتغير بين النص التاريخي والنص الفني/ ثورة الزنج انموذجا"، بحث في مؤتمر كلية دار العلوم، جامعة المنيا، مصر، 2017.
[32] وزيري، يحيى، "موسوعة عناصر العمارة الاسلامية" الجزء الثاني، مكتبة مدبولي، الطبعة الاولى، مصر، 1999.
[33] وزيري، يحيى، "العمران والبنيان في منظور الاسلام"، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الطبعة الاولى، الكويت، 2008.
[34] يوسف، شريف، "تاريخ العمارة العراقية في مختلف العصور"، دار الرشيد للنشر، العراق، 1982.
[35] Golombek, Lisa, "The Function of Decoration in Islamic Architecture", Theories and Principles of Design in the Architecture of Islamic Societies, The Aga Khan Program for Islamic Architecture, Cambridge, Massachusetts, 1988.
[36] Grube, Ernst J., James Dickie, Oleg Grabar, Eleanor Sims, Ronald Lewcock, Dalu Jones, Guy T. Petherbridge, "Architecture of The Islamic World/ Its History and Social Meaning", Thames & Hudson Ltd, London, 2011.
[37] Haider, S. Gulzar, "Islam, Cosmology and Architecture", Theories and Principles of Design in the Architecture of Islamic Societies, The Aga Khan Program for Islamic Architecture, Cambridge, Massachusetts, 1988.
[38] Hattstein, Markus, Peter Delius, "Islam Art and Architecture", Konemann, Italy, 2004.
[39] Schulz, Christian Norberg, "The Architecture of Unity", Architecture Education in the Islamic World, The Aga Khan Award for Architecture, Granada, Spain, April, 1986.
[40] Walls, Archie G., "Geometry & Architecture in Islamic Jerusalem/ A Study of the Ashrafiyya", Scorpion, World of Islam Festival, 1990.

The Concept of Constants and Variables in Islamic Architecture: An Analysis of Renewable Elements and Established Aspects in Architectural Configuration

***Naqa Nidhal Khadier*[1] and *Abdulhussein Abdali Alaskary*[2]**

[1] *Department of Architecture Engineering, College of Engineering, University of Baghdad, n.khadier1304d@coeng.iobaghdad.edu.iq*

[2] *Department of Architecture Engineering, College of Engineering, University of Baghdad, a.alaskary@coeng.uobaghdad.edu.iq*

**Coresponding author: Naqa Nidhal Khadier, naqan.alobadi@uokufa.edu.iq*

Published online: 30 September 2024.

Abstract— Islamic architecture is one of the greatest human expressions of cultural and religious identity in the world. Islamic architecture is linked to the history of Islamic civilization, reflecting its evolution and changes over time. It embodies the beliefs and values of Islamic societies throughout the ages. This artistic field is characterized by diversity and development, as it combines timeless values and traditions with contemporary technologies and changes. This balance is evident in the configuration and architectural patterns that distinguish Islamic architecture and embody its unique identity. The research explores the role of Islamic architecture as an aspect of expressing the cultural and religious identity of Islamic societies, highlighting the artistic and engineering balance between constants and variables in design concepts and architectural structures. The research presents a hypothesis indicating that the evolution of architectural configuration reflects the dynamic interaction between fixed and variable factors. Constants, such as elements and enduring values, play a role in sustainability and continuity of design, while variables, such as cultural, technological, and social factors, allow for renewal and development. The research illustrates how Islamic architecture has managed to preserve its constant elements, such as religious values, customs, and traditions, while adapting to technological challenges. It sheds light on how Islamic architecture has evolved over the ages through the influence of social, cultural, and technological factors on architectural configuration, enabling it to renew its cultural identity. The research demonstrates that Islamic architecture represents a dynamic balance between constants and variables, contributing to its development over the ages.

Keywords— Islamic architecture, Islamic art, technology, ornamentation, Traditions.